الفصل السادس

النشاط الصهيوني
ليهود مصر

obeikandl.com

obeikandl.com

مع نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد في عام ١٨٩٦م. قدم إلي مصر «جوزيف ماركو باروخ» ونجح في تأسيس أول جمعية صهيونية في مصر بمدينة القاهرة ، حملت اسم «باركوخبا»[١] وتم الاتصال بين هذه الجمعية وتيودور هرتزل أبو الصهيونية ، والذي قدم إلي الإسكندرية والقاهرة في ٢٣ مارس ١٩٠٣م ، وأمضي عدة أيام وغادرها في ٤ إبريل. وكان الهدف الأساسي من زيارة هرتزل ، هو محاولة إقناع المندوب السامي البريطاني (اللورد كرومر) ، والمسئولين المصريين ،بإقامة مشروع استيطاني لليهود في العريش وسيناء ليكون محطة انتقال مؤقتة إلي فلسطين أو مشروع مستديم يستوعب عشرة ملايين يهودي بعد نقل مياه النيل إليه . وقد قوبل هذا المشروع بالرفض من «اللورد كرومر» بسبب صعوبة وحساسية نقل مياه النيل ، وكذلك رفض المسئولون المصريون هذا الأمر . وقد اعتمد هرتزل في اتصالاته علي كبار أقطاب العائلات اليهودية الموجودة بالقاهرة والإسكندرية. وقام هيرتزل بتأسيس جمعية صهيونية تتولي الدعوي إلي مشاريعه بعد سفره ، وكذلك تتولي الترويج للفكرة الصهيونية في مصر. وظلت هذه الجمعية وفروعها نشيطة حتي قيام الحرب العالمية الأولي[٢].

وهكذا قام هيرتزل بوضع بصمته من أجل دفع النشاط والخطاب الصهيوني . وبعد ذلك جاء وعد بلفور ١٩١٧م ، ليعطي قوة دفع هائلة ، ويكون له أثر كبير علي النشاط الصهيوني في مصر. وأصبح اليهود يعملون بالحركة الصهيونية في وضح النهار ، وقامت جماعة «زبرزيون» (جمعية صهيون) بالإسكندرية ، بإنشاء مكتب لتشجيع الهجرة إلي فلسطين والمساهمة في توطينهم . وقام ليون كاسترو بتأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر بالإسكندرية !! . وشهد عام

(1)حسنى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٠.

(2)هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢.

١٩١٨م نشاطا مكثفا للصهيونية . ففي مارس من نفس العام ، حضر «حاييم وايزمان» ، وألقي محاضرة أمام الطائفة اليهودية ، ودعا إلي اعتبار اليهودية والصهيونية شيئا واحدا[١] .

ومن جانبه قام الاتحاد الصهيوني ، بنشر محاضرة وايزمان ، ونشاط بعثته الصهيونية في جريدة «الصهيونية» التي تصدر بالفرنسية . وقد أخذ النشاط الصهيوني منحي بالغ الخطورة ، حيث اجتمعت كل المنظمات اليهودية العاملة في فلسطين في الإسكندرية يوم ١٤ أغسطس ١٩١٨م. وتم ذلك في ضيافة كبار رجال الأعمال الرأسماليين اليهود في مصر. وتولي رئاسة الاجتماع «حاييم وايزمان» والذي كللت جهوده وجهود المنظمة الصهيونية في ذلك الوقت بإعلان وعد بلفور[٢] . أيضا ، ألقي «فيلكس منشة» ، القطب اليهودي المصري البارز ، كلمة في هذا الاجتماع ، حث فيها اليهود للوقوف خلف الصهيونية لتحقيق حلمهم في إقامة دولة إسرائيلية.

وتكونت بمقتضي ذلك ، لجنة أطلقوا عليها ، اللجنة المشايعة لفلسطين (Pro-palestin) . وأصدرت اللجنة منشورا إلي يهود الإسكندرية ، طالبتهم فيه بالاكتتاب ، والمساعدة في جمع التبرعات من أثرياء اليهود ، من أجل إقامة مستعمرات زراعية في فلسطين[٣] .

ـ زيارات الزعماء الصهاينة إلي مصر :

تدريجيا وبمرور الوقت ، أصبحت مصر مركزا رئيسيا للتحرك الصهيوني في

---

(1) Weisgal، Meyen ، (ed) : the lettens and papers of choim weizman ، 1977. p 465.، press، jenusulem. Israel universities، vol. viii،finstseniesً

(2) هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤ ومابعدها.

(3) كفافي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤.

المنطقة ومحور ارتكاز لهذا النشاط. ولا يجانبنا الصواب إذا قلنا ، أن مصر أصبحت قِبلة لكل أو غالبية الزعماء الصهاينة ، ويمكن بيان ذلك علي الوجه التالي :

١. حاييم وايزمان :

تعددت زيارات الدكتور «حاييم وإيزمان» زعيم المنظمة الصهيونية إلى مصر منذ عام ١٩١٨م وحتى عام ١٩٣٨م وقام الدكتور محمد سعيد عبد الظاهر في دراسته «يهود مصر – دراسة في الموقف السياسي» برصد سبعة زيارات كاييم وإيزمان كما يلي :

١- مارس ١٩١٨م : في أثناء رئاسته للبعثة الصهيونية إلى فلسطين بعد صدور تصريح بلفور.

٢- أغسطس ١٩١٨ : أثناء ذهابه إلى فلسطين لوضع حجر الأساس للجامعة العبرية بالقدس.

٣- نوفمبر ١٩٢٢ : أثناء ذهابه إلى فلسطين.

٤- ديسمبر ١٩٢٢ : أثناء عودته من القدس ، بعد متابعته لمشروع الجامعة العبرية وعقد اجتماع صهيوني كبير ، حضره أكثر من ألفين من اليهود المصريين وعدد من المسئولين في مصر.

٥- إبريل ١٩٢٤م : حيث تقابل مع الملك فؤاد وسعد زغلول وزعماء الطائفة اليهودية في مصر.

٦- إبريل ١٩٢٥م : أثناء عودته من فلسطين بعد افتتاح الجامعة العبرية في القدس وقابل الحاخام «حاييم ناحوم أفندي» .

٧- فبراير ١٩٣٨ : حيث تقابل مع الأمير «محمد علي ولي العهد ومع رئيس الوزراء محمد محمود ، ورئيس الديوان الملكي «علي ماهر»

أما الدكتورة سعيدة حنى في كتابها (يهود مصر) الصادر عن الهيئة العامة للكتاب فقد رصدت ثلاث زيارات فقط.

ويلاحظ في هذا الشأن أن «حاييم وإيزمان» كان حريصاً على مقابلة المسئولين المصريين خلال زياراته المتعددة إلى مصر وعلى رأسهم الملك «فؤاد» الذي تقابل معه عام ١٩٢٤م كما تقابل مع «سعد زغلول» رئيس الوزراء وهنأه على تولية الوزارة وقد حضر هذه المقابلة جوزيف شيكوريل رئيس الاتحاد الصهيوني في مصر ، وليون كاستر عضو الوفد ورئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني[١] .

وفي آخر زيارة لوايزمان عام ١٩٣٨م قابل العديد من الشخصيات السياسية ، للتخفيف من أثر الأحداث الاضطرابات التي شهدتها الساحة الفلسطينية عقب ثورة ١٩٣٦م الفلسطينية والتي كانت نقطة تحول في إيقاظ الوعي لدى الرأي العام المصري ونبهت قطاعات كثيرة منه لطبيعة الأطماع الصهيونية وحقيقة ما يحدث في فلسطين وبدأ وايزمان مقابلاته مع ولي عهد مصر الأمير «محمد علي» وناقش معه مشروع التقسيم الذي كان مطروحاً على الساحة السياسية والدولية في ذلك الوقت واتفقا على اتباع سياسة توفيقية تحاول جمع العرب واليهود حول المشروع كما تقابل «وايزمان» مع محمد محمود رئيس الوزراء (١٩٣٨م – ١٩٤٠م) وكان «وايزمان» حريصاً على التوقيع في سجل زيارات القصر الملكي بعابدين كلما حضر إلى مصر[٢] .

٢ـ ناحوم سولوكوف (١٨٥٩ – ١٩١٦م) :

رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العالمية ، حضر إلى القاهرة ، وعقد اجتماع مع الملك فؤاد يوم ٨ فبراير كما عقد العديد من الاجتماعات مع أعضاء الطائفة اليهودية وأشرف على زيارته «ليون كاستر» رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني[٣] .

***

(1) هيكل ، العروش والجيوش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧ .

(2) Weisgol ، meyen op. c.t. ، pp. 332 – 338.

(3) عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧ .

٣ـ إسحاق بن زفى :

قام بزيارته لمصر في مارس ١٩٢٢م

٤ـ موشى شرتوك :

هو أول وزير خارجية لإسرائيل ، وثالث رئيس للدولة بعد ذلك كان يزور مصر بصفة دورية ، كل ستة أشهر تقريباً ، وينزل ضيفاً على يعقوب وإيزمان الزعيم الصهيوني المصري.

٥ـ زئيف جابوتنسكى :

زعيم المنظمة الصهيونية الجديدة .

٦ـ آرية الثمان :

خليفة جابو تنكسي فى زعامة المنظمة الصهيونية الجديدة وهو الزعيم الصهيونى المتطرى أيضاً ، في نفس السياق ، في عام ١٩٤٣م أعيد تشكيل المنظمة الصهيونية في مصر تحت اسم «الاتحاد الصهيوني العام» وحضر هذا الاجتماع كل من «ديفيد بن جوريون» «وإسحاق بن زفى» ، الأول أصبح بعد عدة سنوات المؤسس الحقيقي لدولة إسرائيل ، والثاني أصبح فيما بعد رئيساً للدولة أيضاً تولت عائلتا «موصيري ، وقطاوي» ترتيب لقاءات مع ساسة مصريين شارك فيها «ديفيد بن جوريون» بنفسه ، وكذلك شارك فيها «موشى شرتوك» ، و«ناحوم جولد مان» والذي كان رئيساً للمجلس الصهيوني العالمي وكذلك «الياهوساسون» المستشار الشرقي للوكالة اليهودية وبعيداً عن الإدانة للساسة المصريين ، يثور تساؤل هنا حول مغزى كل هذه اللقاءات مع القادة الصهاينة ؟ المغزي من الطرف الصهيوني واضح ومفهوم ولكن ما هو الهدف من ذلك بالنسبة للطرف المصري ؟ هل هو محاولة كبح جماح التيار الصهيوني المندفع؟ أم هو محاولة الوصول إلى حلول وسط ؟ أم هو

محاولة التعرف المباشر على ما يريده هؤلاء القادة الصهاينة لا ندري بالضبط وتبقى الأسئلة قوية رغم مرور الزمن ،وتبقى أيضاً الإدانة لكل هؤلاء الساسة لقد جعلت السياسة المصرية الرسمية ومعها الحركة الوطنية السودانية بنداً ثابتاً في المفاوضات مع الإنجليز ، وواحداً من ضمن أولوياتها فلماذا لم تتعامل بجدية مع مشكلة فلسطين مثلما تعاملت مع السودان لقد قال «مصطفى النحاس» زعيم الوفد يوماً كلمته المشهورة : «تقطع يدي ولا تترك السودان»فلماذا لم يقل واحد من هؤلاء الساسة : «تقطع يدي ولا تترك فلسطين هل السبب أنهم كانوا يعتبرون السودان جزء من القطر المصري ، ومملكة مصر والسودان بينما فلسطين ليست لها هذه الدرجة وقد يقول قائل : أن مصر دخلت حرب ١٩٤٨م من أجل إنقاذ فلسطين ، وهؤلاء الساسة هم الذين وافقوا على قرار الحرب بغض النظر عن نتيجة هذه الحرب. وهنا يكون السؤال : لماذا تقاعسوا طوال هذه المدة والتي بلغت أكثر من نصف قرن عن التعامل بجدية ومسئولية مع هذه المشكلة ولماذا صارت مصر ، صالة لاستقبال كبار السن من القادة الصهاينة يتحركون بحرية ، ويعملون بحرية ، ويخططون[1] دون إزعاج ، ودون اعتراض ،ودون أي رد فعل ، هذا هو مناط المساءلة الحقيقية لهؤلاء الساسة لماذا تهاونوا وتقاعسوا ولْنَقُل تواطئوا طوال تلك السنوات ، حتى اتسع الخرق على الراقع لماذا لم يكن هناك «فيتو» سياسي من السلطات المصرية والحكومات المتعاقبة طوال نصف قرن ضد الأنشطة الصهيونية الواضحة والعلنية والسافرة فضلاً عن الأنشطة السرية. إن عشرات الوقائع والأمثلة والتي أثبتتها كافة الدراسات والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع ، وتم التعرض لها في هذا الكتاب ، تصيب المرء بالدوار عن كيف يمكن قبول هذه الأوضاع ، أو التغاضي عنها ، أو مباركتها والتعايش معها . هل هؤلاء القوم كانوا

(1)هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٩.

يعيشون في كوكب أو عالم آخره وهل لم يتوافر لديهم الحد الأدنى من الإدراك والبصيرة لكي يستشعروا حقيقة الخطر القادم ؟ أم أننا نحن أبناء الجيل أو الأجيال التي عاصرت الكارثة ونحس بضغط واقع وجود إسرائيل علينا ، بينما هم لم يألفوا ذلك ولم يتخيلوه . لا ندري.

استكمالاً لرحلة الدهشة ، بعد صدور وعد بلفور حتى الثامن نوفمبر ١٩١٧ ، بادر الاتحاد الصهيوني في مصر بعقد اجتماعين في الإسكندرية وبإشراف فرعه هناك الأول بعد يومين فقط من إصدار التصريح في مصرح الهمبرا والثاني في الحادي عشر من نوفمبر في حديقة رشيد وحضره ما بين ٧٠٠٠ – ٨٠٠٠ يهودى من المهاجرين ومن يهود الإسكندرية وكان من ضمن الحضور زعماء الطائفة اليهودية ،وزعماء الاتحاد الصهيوني في مصر والحاخام الأكبر في الإسكندرية كما حضره أحمد زيور باشا محافظ الإسكندرية والذي تولى رئاسة الوزراء فيما بعد مندوباً عن حكومة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء المصري آنذاك وفي نهاية الحفل أنشد الحاضرون نشيد الأصل «هاتيكفاه» وقد كان هذا النشيد هو المارسليز الصهيوني بالنسبة لهم[1] أي أن هناك احتفالات يهودية بوعد بلفور في الإسكندرية ومشاركة مصرية رسمية في هذه الاحتفالات ومباركة لهم وهم ينشرون نشيد الأمل

الأحزاب المصرية والصهيونية

سارع كثير من أعضاء الاتحاد الصهيوني إلى الحصول على الجنسية المصرية استجابة لطلب الحاخام الأكبر للطائفة حايم ناحوم والتي سبقت صدور قانون الجنسية عام ١٩٢٩م واستمرت بعده كما اهتم الصهاينة بالانضمام إلى الأحزاب المصرية حتى يكون لهم حضور في مجريات الأحداث ، وتأثير على السياسات الحزبية وبين النخبة السياسية المصرية .

(1)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

١ـ حزب الوفد

حرص الصهاينة على الانضمام إلى حزب الوفد ، أكبر الأحزاب السياسية المصرية وصاحب الشعبية الكبيرة والذي تم تأسيسه في أعقاب ثورة ١٩١٩م ومن أبرز الأسماء التي حصلت على عضوية الوفد «ليون كاسترو» والذي يعتبر منظم الصهيونية في مصر والذي كان على علاقات شخصية مع سعد زغلول زعيم الوفد ومن الأسماء الصهيونية أيضاً ديفيد حزان ، وزكي شويقة المحامي ، والبرت مزرا حي الصحفي وإلياس فينير ، وفيلكس بن زاقين أيضاً من الأسماء اليهودية البارزة والتي وثقت علاقاتها لسعد زغلول «يوسف قطاوي» حيث جمعت بينهما صداقة منذ عام ١٩١٣م عندما كانا زملاء في الجمعية التشريعية ولكن هذه الصداقة لم تمنعه من الانضمام إلى أحزاب أخرى غير الوفد فقد أنضم إلى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة زيور باشا ،وبعد ذلك انضم إلى حزب الاتحاد برئاسة يحي إبراهيم وقد خرج يوسف قطاوي من الوزراء عام ١٩٢٦م بسبب تهنئة أرسلها لسعد بعيد الفطر ، وهو الأمر الذي أغضب الملك فؤاد الذي كان يريد فرض العزلة على سعد زغلول . أيضاً ،انضم إلى الوفد يوسف بيشوتو والذي عينه سعد زغلول عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٤م.

٢ـ حزب الأحرار الدستوريين :

هو ثاني الأحزاب المصرية بعد حزب الوفد من حيث الشعبية والأهمية وقد تميز هذا الحزب بوجود زعامات من الوزن الثقيل سواء كانت سياسية مثل محمد محمود ومحمد علي علوبة أو زعامات ثقافية ليبرالية مثل أحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وغيرهم فيما يخص رئيس الحزب «محمد محمود» فقد أبدى تعاطفاً مع اليهود ، وهويري أنهم عناصر فعالة تفيد البلاد[1] بينما نجد محمد علوية باشا ، ينحاز إلى

(1) المصدر نفسه ، ص٣٥.

الموقف الفلسطيني ويعلن عداءه لليهود . وتعددت تحركاته في هذا الاتجاه فقد أدلى بشهادته أمام لجنة « شو» التي شكلتها الحكومة البريطانية للتحقيق في حوادث حائط البراق عام ١٩٢٩م مديناً بالاستفزازات الصهيونية ضد الفلسطينيين ثم يشارك بعد ذلك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٦م ، لبحث ومناصرة القضية الفلسطينية أيضاً فقد دعا عام ١٩٣٨م لعقد مؤتمر إسلامي لمناصرة الفلسطينيين في محنتهم أثناء ثورتهم الكبرى والتي بدأت عام ١٩٣٦م وقد أثارت موافقة حفظية المنظمة الصهيونية واعتبرته موقفاً عدائياً موجهاً ضد اليهود كلهم[1] ويلاحظ أيضاً أن بعض مثقفي الحزب قد زار فلسطين عند افتتاح الجامعة عام ١٩٢٥م منهم أحمد لطفي السيد ، والذي كانت تربطه علاقات واتصالات مستمرة خلال الثلاثينات مع دكتور «ماجنس» رئيس الجامعة العبرية.

٣ـ حزبا الشعب والاتحاد :

هذان الحزبان معروفان في تاريخ السياسة والأحزاب المصرية انهما من أحزاب القصر لذلك فموقفيها من اليهود ، ينسجم مع موقف القصر الذي أنشأهما وبالتالي كان موقفهما من اليهود موقفاً تسامحياً والأسوء من ذلك أنه يكاد يكون عدائياً أو شبه عدائياً تجاه الفلسطينيين المقيمين في مصر في تلك الفترة وقد بدأ ذلك في شخصية وسلوك «إسماعيل صدقي» زعيم حزب الشعب ، ووزير الداخلية عام ١٩٢٥م في حكومة زيوار باشا فقد أمر باعتقال العديد من الفلسطينيين الذين تظاهروا ضد أرثرجمس بلفور صاحب وعد بلفور الشهير ،والذي زار مصر وهو في طريقه إلى فلسطين لحضور افتتاح الجامعة العبرية في القدس[2] أيضاً قام «إسماعيل

(1)عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين ، الكويت : عالم المعرفة ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠م ، ص ١١٠.

(2)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

صدقي» بإغلاق جريدة «الشورى» عام ١٩٣٠م ، لصاحبها الفلسطيني محمد علي طاهر ،والذي هاجم الصهيونية ، أثناء أحداث حائط البراق عام ١٩٢٩م.

٤ـ الحركات الإسلامية للإخوان المسلمين – مصر الفتاة

هاتان الحركتان محسوبتان على التيار الإسلامي ، والذي كان بطبيعة الحال ، يعادي المواقف الصهيونية في فلسطين ، وأيضاً يعادي الأنشطة اليهودية على الساحة المصرية . وقد صورت الرعاية الصهيونية هذه الحركات المعادية لها على أساس أنها حركات تعمل على تهديد الوحدة الوطنية وأنها يمكن أن تؤثر على قضية الاستقلال حيث تظهر مصر بمظهر الدولة التي لا تستطيع حماية الأقليات وفي المقابل كانت السلطة المصرية تنظر إلى الصهيونية على أنها رافد من روافد اليهودية ويمكن القول ، أن موقف كلاً من حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة ، كان موقفا مميزاً نظيفاً وغير ملوث على عكس كثير من القوى والفاعليات السياسية على الساحة المصرية وكان موقفها من الصهيونية نابع عن التزام ديني وقومي وأخلاقي تجاه فلسطين والشعب الفلسطيني والقدس الشريف وهذا الموقف كان معبراً عن الضمير العربي والمسلم عندما يكون سوياً ونقياً بعيداً عن الملوثات السياسية الدنيوية وهذا التقييم الموضوعي المنصف لا يمكن مقارنته بموقف هاتين الحركتين مع موقف الملك فؤاد الذي حاكى موقف «أرثربلفور» وزير الخارجية البريطاني وصاحب الوعد المشهور فإذا كان بلفور ذكر في صدر تصريحه : أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بالعطف على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. فإن الملك «فؤاد» صرح أيضاً بعد فترة وجيزة من صدور وعد بلفور : «أننا ننظر بعين العطف على اليهود حتى يتحقق أملهم ونوفر الحماية لهم» ولا يمكن مقارنة موقف هاتين الحركتين مع موقف الأمير « محمد علي» ولي عهد المملكة المصرية والذي اقترح بيع المسلمين لحائط البراق بمبلغ مائة ألف جنيه حتى يستريحوا ولا يمكن

مقارنة موقف هاتين الحركتين مع موقف إسماعيل صدقي الذي اعتقل الفلسطينيين في القاهرة لأنهم تظاهروا ضد زيارة «بلفور» للقاهرة عام ١٩٢٥م والذي أغلق صحفهم وضيق عليهم عام ١٩٣٠م ولا يمكن مقارنة موقف هاتين الحركتين بموقف التيار الليبرالي الذي جعل الوفد يمنح العضوية لمجموعة من الصهاينة وعلى رأسهم رجل الصهيونية الأول في مصر «ليون كاستروا» ولا يمكن المقارنة مع موقف أستاذ الجيل «أحمد لطفي السيد» والذي كان على علاقات وثيقة مع رئيس الجامعة العبرية وشارك بوفد رسمي في احتفالات الجامعة في القدس عام ١٩٢٥م وتم إلقاء كلمة رسمية في الاحتفال باسم جامعة «فؤاد الأول» المصرية (جامعة القاهرة الآن) وإذا كان هذا هو سلوك وموقف الأستاذ فماذا يفعل التلاميذ ؟ ويمكن القول إجمالا أن الأحزاب السياسية المصرية بمفكريها وزعمائها قد تأثرت بالأفكار التي جاءت نتيجة ثورة ١٩١٩م والتي كانت ترفع شعار «مصر للمصريين» أى ترفع من شأن الوطنية المصرية على حساب القومية العربية ،وهو ما ساهم في انصراف مصر كدولة وسياسة عن الشأن العربي وفي القلب منه المشكلة الفلسطينية وانكفاء مصر وتركيزها الفكري والسياسي على قضية الاستقلال الفلسطينية والجلاء فقط ولكن بالرصد للسياق العام والمسار التاريخي للأحداث نجد أن هذه المرحلة لم تدم طويلاً فقد نبهت أحداث البراق عام ١٩٢٩م والثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م وتواجد زعماء من فلسطين في مصر وعلى رأسهم المفتي الشيخ «أمين الحسيني» ونشاطاته وتحركاته لمقاومة الصهيونية وإظهار وجهها القبيح والعدواني كل ذلك أدى إلى كشف حقيقة الأخطار التي تحيق بالأمة العربية والإسلامية من جراء الأنشطة الصهيونية . وقد قام المفتي أيضا بتحذير النخبة والرأي العام من خطورة قيام كيان صهيوني متعصب ملاصق لمصر وأن الخطر لا يلحق بفلسطين وحدها وإنما هو موجه ضد العرب والمسلمين وضد مصالح مصر

نفسها واستكمالاً للرؤية عن طبيعة وحقيقة المعطيات السياسية في تلك الفترة نورد ما قاله شحاته هارون ، وهو محامى مصري يهودي ، وكان عضوا بارزاً في التنظيم الشيوعي المصري والذي تزعمه هنري كوربيل الشيوعي اليهودي المصري والذي كان ناشطا صهيونيا أيضا ، يقول شحاته هارون : « إن ثمة حقائق لا شك فيها من بينها أن الدعوة الصهيونية نشطت في مصر نشاطا كبيرا خلال الثلاثينات والأربعينات بوجه خاص وتحالفت أسباب كثيرة ، كي تجعل السلطات المصرية تتعامى عن هذا النشاط ، الذي يخدم أهدافها » .

ويضيف شحاته هارون عموما كانت الصهيونية في مصر في غاية النشاط وكان يسندها أثرياء الطائفة اليهودية وكانوا بالطبع ذو نفوذ كبير وكذلك يجب أن نضع في الاعتبار أن القوى التقدمية والأحزاب المصرية لم تنتبه لخطر الصهيونية[1] وتكمن أهمية أقوال شحاته هارون أنه يهودي مصري وكان ناشطاً سياسياً ، وعاش في قلب الأحداث.

الإرهاب الصهيوني في مصر

ارتبطت مدرسة العنف والإرهاب الصهيوني باسم «زئيف فلاديمير جابوتنسكي» الزعيم الصهيوني، والذي يعد أبو التطرف في الفكر الصهيوني في العصر الحديث. ويعود إليه، إنشاء التنظيمات العسكرية الصهيونية في النصف الأول من القرن العشرين، بداية من تأسيس الفيلق اليهودى على التراب المصري خلال الحرب العالمية الأولى، وانتهاء بمنظمات «الأرجون» و«اشتيرن»، والتي سطرت صفحات دامية من تاريخ الإجرام الصهيوني في المنطقة، والتي من الصعب

(1) فاروق عبد القادر - شحاتة هارون - يهودي نعم ، يساري نعم ، ولكن الأهم أنني مصري ، المصور (القاهرة) ، العدد ٣٩٩٠ ، مارس ٢٠٠١م ، ص٤٨.

أن ينساها الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب العربية. وقد شكل «جابوتنسكي» مساراً جديداً في الحركة الصهيونية، حيث أسس ما سمى بالحركة التصحيحية أو الحركة التنقيحية داخل المنظمة الصهيونية. وكان ذلك عام ١٩٢٥م وجعل مقرها في باريس، وأعلن بوضوح كامل أن هدف الصهيونية هو إقامة الدول اليهودية « Jewish state »، والتي ينبغي أن تشمل حدودها التاريخية أرض فلسطين بما فيها ضفتي نهر الأردن. وقد تأثر بفكرة وخطاب «جابوتنسكي»، الكثير من الصهيونية المتطرفين، والذين لم يعجبهم الأسلوب السياسي المهاون، الذي تتبعه القيادات الصهيونية[1]. وهكذا بدأ خط جديد في الفكر والسلوك السياسي الصهيوني على يد «جابوتنسكي»، يرى ضرورة استخدام القوة وحمل السلاح من أجل تحقيق المشروع الصهيوني، وإنه لا جدوى كبيرة من استخدام الوسائل السلمية والسياسية لبلوغ هدف الصهيونية النهائي. ودبت الخلافات بين «جابوتنسكي» والقيادات الصهيونية، فانفصل نهائياً عن المنظمة الرسمية وأنشأ مظمته البديلة والتي أطلق عليها المنظمة الصهيونية الجديدة (New Zionist Organization)، وكان في باريس يهودى مصري ، يدرس هناك ويسمى « البيراسترا سلسكي» انجذب إلى فكر «جابوتنسكى» وانضم إلى منظمته الجديدة ، وحركته المعروفة بالتصحيحية. وعندما عاد «استراسلسكى» إلى مصر عام ١٩٢٩م، وأسس فرعاً للحركة في مصر[2]. وفي عام ١٩٣١م قام بتأسيس جريدة «الصوت اليهودي» بتمويل من أثرياء الطائفة اليهودية بالإسكندرية، وبتأييد من حاخام الإسكندرية المدعو «ديفيد

(1) عبد الظاهر ، الصهيونية وسياسة العنف ، زئيف جابوتنسكى وتلاميذه فى السياسة الإسرائيلية ، (القاهرة) : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م ، ص ١٠٢ .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

براتو». وأصبحت هذه الجريدة، هي صوت الصهيونية المتطرف. ومنبراً لغلاة الصهاينة في مصر. ولكن هذه الجريدة توقفت عام ١٩٣٣م، بسبب سفر «ستراسلسكي» إلى باريس، ليتولى رئاسة صحيفة أخرى هناك. لم يلبث «استراسلسكي» بأن عاد إلى مصر عام ١٩٣٥م، بعد تأسيس المنظمة الصهيونية الجديدة. وأقام فرعاً لها في مصر وبالتحديد في مكتبه في ميدان مصطفى كامل باشا بالقاهرة، ثم أسس فرعين آخرين في الإسكندرية وبورسعيد[1]. وقد استقطبت هذه المنظمة أسماء شخصيات يهودية معروفة بجنوحها الفكري وتطرفها ومن هذه الأسماء ما يلي[2]:

١- ميلكسي بن زاقين، وهو محامي بالإسكندرية، ورئيس الفرع هناك.

٢- أيلي بوليتي، رئيس مكتب جريدة المصري بالإسكندرية.

٣- فيكتور حزام، محامي يهودي.

٤- ناثان هيلمان وموريس هيلمان، تجار مجوهرات بور سعيد .

٥- روفائيل سادوفسكي، مدرس لغة فرنسية.

٦- كاريورونتال موظف بشركة توسكا للكحوليات.

٧- فيتا كوهين.

- في ٥ يوليو ١٩٣٧م، ألقى «جابوتنسكي» محاضرة في فندق سيسل بالإسكندرية أمام الطائفة اليهودية، وذلك بترتيب من «ستراسلسكي» وذلك أثناء زيارته لمصر وهو في طريقه للإدلاء بشهادته أمام « لجنة ليل » والتي كانت مكلفة

(1) المصدر نفسه ، ص ٨٩.

(2) أحمد غنيم ، أحمد أبو كف ، اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧م ، ١٩٤٧، القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٤.

بالتحقيق في أحداث فلسطين في ذلك الوقت. وأوضح «جابوتنسكي» في هذه المحاضرة، معارضته لمشروع التقسيم الذي اقترحته «لجنة بيل» ، وقال: أن الدولة اليهودية يجب أن تشمل حدودها التاريخية فلسطين كلها وشرق الأردن[1].

- توفى «جابوتنسكي» في عام ١٩٤٠م في نيويورك،وخلفه في قيادة المنظمة الصهيونية الجديدة «أريه إلتمان»، وقام إلتمان بزيارة مصر عدة مرات ليتابع أنشطة المنظمة في مصر، وكان يجري اتصالات واجتماعات متعددة مع يهود الطائفة. وفي فبراير عام ١٩٤٤م وفي أثناء زيارة «إلتمان» لمصر، عقد اجتماعاً ضم العديد من الشخصيات اليهودية والصهيونية، أعلن «إلتمان»، أن اليهود إذا لم يستطيعوا تحقيق مطالبهم بالوسائل السلمية، فعليهم اللجوء إلى العنف لتحقيقها[2]. وقد أثار هذا التصريح حفيظة سلطات الأمن المصرية. وقام وكيل وزارة الداخلية في ذلك الوقت «حسن رفعت باشا» باستدعاء «ستراسلسكي» وأبلغه عدم موافقة السلطات على منح ترخيص بإقامة فرع للمنظمة في مصر. وأيضاً تم الاتصال بالسفارة البريطانية وإبلاغ المندوب السامي البريطاني «اللورد كيلرن» للتنسيق بهذا الشأن. ومن هنا يبدو أن الموافقة الرسمية المصرية على النشاط الصهيوني في مصر، كان لها استثناءين، الأول أنشطة منظمة «جابوتنسكي» الجديدة المنشقة عن المنظمة الصهيونية الرسمية، والثاني النشاط اليساري الشيوعي، وهو ما سيتم التعرض له لاحقاً. يمكن القول: أنه قرب نهاية الحرب العالمية الثانية، وعندما بدأ للجميع أن الحرب تضع أوزارها.أصبح النشاط الصهيوني محموماً، ودخل في سباق مع الزمن، من أجل فرض مشروعهم على الجميع، حتى من كانوا حلفائهم، والذين مهدوا لهم الطريق، ويسروا لهم كل شيء. والمقصود بذلك، السلطات البريطانية ورجالها، وقد

(1)عبد الظاهر،الصهيونية...، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩.

(2)غنيم ، ابو كف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠.

أصبح عام ١٩٤٤م، هو عام الإرهاب الصهيوني بامتياز، حيث بدأت لغة الرصاص لدى الصهاينة تعبر عن نفسها في فلسطين ومصر والمنظمة عموماً. وإذا توقفنا عند ذلك العام، فسوف نجد أن هناك قائمة اغتيالات متضخمة وناطقة بحجم الإجرام الصهيوني، وهى تشمل ما يلي[1]:

١- في ١٣ مارس ١٩٤٤م، اغتيل وارفن فلتش في رمات حان.

٢- في ٢٦ مارس ١٩٤٤م، قتل الكوناستابل كالي في تل أبيب.

٣- في ١٠ مايو ١٩٤٤م، قتل الكوناستابل جوتافتش في تل أبيب أيضاً.

٤- في ٢٩ سبتمبر١٩٤٤م، اغتيال المستر ولكنز في القاهرة.

٥- في ١٤ أكتوبر، اغتيال الكونستابل ديو، والمفتش الميجور جين في حيفاً.

- وينضم إلى القائمة، حسن الكرم، أحد النشيطين الفلسطينيين، والذي تم اغتياله في مركز البوليس بالقدس. أما قمة الإرهاب الصهيوني، فقد تمثل في اغتيال وزير الدولة البريطاني «اللورد موين»، وأمام منزله في حي الزمالك بالقاهرة في ٦ نوفمبر ١٩٤٤م، وقبل الدخول في تفاصيل عملية اغتيال «اللورد موين»، توجد عدة ملاحظات هامة على القائمة من الاغتيالات وذلك كما يلي:

أولاً: أن هذه الاغتيالات حدثت في عام واحد، وهو عام ١٩٤٤م. وهذا العام كان يمثل النهايات للحرب العالمية الثانية، واتضحت فيه الصورة والنتيجة النهائية للحرب. ونهايات الحرب لها دلالات عميقة، فهي تعني انتصار الحلفاء، وسقوط النازية الألمانية والفوهرر الألماني «هتلر»، وظهور قوة عالمية جديدة هي الولايات المتحدة. بينما هناك إمبراطورية غابت عنها الشمس أو بدأت تغيب عنها (بريطانيا) بسبب خروجها من الحرب منتصرة، ولكنها منهكة القوى. لذلك لابد من اقتناص الفرص، وتعظيم المكاسب. وفي تلك الإثناء كانت « المسألة اليهودية »

(1) كفافى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨.

و« الهولوكوست » أمور ساخنة وملتهبة على الطاولة السياسية الدولية. ومن هنا كان التيار الجامع للصهيونية، والذي يطيح بكل من يقف أمامه.

ثانياً: أغلب الشخصيات التي اغتيلت لم تكن شخصيات عربية، وهذا يدل على أن النشاط الصهيوني، خرج بشكل كامل عن سيطرة السلطات البريطانية، كما يدل على الحركة الصهيونية، أصبح لها حساباتها الذاتية، التي لا تراعي فيها الآخرين، كما يدل على أنها أصبحت تستند في تحالفاتها على مركز الثقل الدولي الجديد بعد الحرب، وهي الولايات المتحدة الأمريكية. فإذا كان مبدأ «التحالف مع الأقوياء» ثابت ولا يتغير في السياسيات الصهيونية، والتاريخ اليهودي بشكل عام، ولكن الأقوياء يتغيرون، فالقوة ليست مظلة ثابتة، يحتكرها أقوام دون آخرين. ولكنها تخضع لقانون التداول والتغيير.

ثالثاً: حوادث الاغتيال والإرهاب هذه، لم تكن في فلسطين منفصلة عن مصر. ولكن هذه الأحداث، كانت تتم في رقعة جغرافية متصلة، ووراءها عقل مدبر واحد وهو «أريك رولو» المسئول عن شبكة «شتيرن» الصهيونية في مصر وفلسطين. وهو المكلف بتنفيذ وتخطيط عمليات الاغتيال والتصفية الجسدية بالمنطقة، خدمة للأغراض والسياسات والمصالح العليا للصهيونية. و«أريك رولو»، هذا هو أحد أفراد أسرة رولو اليهودية المصرية الثرية. وكان صديقاً « لهنري كورييل»، الشيوعي المصري المعروف، ولكن توزيع الأدوار يختلف بينهم حسب مقتضيات السياسة الصهيونية[1].

- وبالنظر إلى ملابسات عملية اغتيال «اللورد موين»، وينضح عمق واستفحال الخطر الصهيوني، والذي جعل «أحمد ماهر» باشا، رئيس الوزراء المصري وقتها، يعيش أزمة كبرى، بعد أن أعلنت العصابات الصهيونية عن نفسها بالرصاص في

(1) المصدر نفسه ،ص٩٨ ومابعدها.

قلب القاهرة. وهي لم تغتال فرداً أو مواطناً عادياً، ولكنه أحد أعضاء الوزارة البريطانية. وقد أدى الحادث إلى حدوث توتر في العلاقات بين حكومة «أحمد ماهر» باشا والمندوب السامي البريطاني «اللورد كيلرن»، والذي حمل السلطات المصرية مسئولية عدم توفير الحراسة اللازمة للوزير البريطاني، واعتقاده أن منفذي العملية من اليهود المصريين. وهو ما اتضح عدم صحته، حيث أن الوزير البريطاني، طلب بنفسه عدم وجود حراسة، كما اتضح أن منفذي العملية، ليسوا من المصريين.

– وبالنظر إلى خلفيات وتفصيلات الحادث، نجد أن كثرة المناوشات والقلاقل بين الفلسطينيين من جهة، وعصابات « الهاجاناة » و «أشتيرن» و «أرجون زفاي» الصهيونية من جهة أخرى، أقلقت السلطات البريطانية، فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م. وكان الكتاب الأبيض، يتضمن بندين في غاية الخطورة بالنسبة للصهاينة، ويتناقض مع جوهر المصالح لصهيونية وهما:

– **البند الأول:** تحديد عدد المجاهرين برقم ١٧٥ ألف مهاجر يهودي، خلال الخمس سنوات القادمة من تاريخ إصدار هذا الكتاب.

– **البند الثاني:** وضع قيود على شراء اليهود لأراضي يملكها العرب في مناطق معينة.

– والكتاب الأبيض، بما يحويه من تحديد وتحجيم للنشاط الصهيوني، أثار بطبيعة الحال، حفيظة الصهيونية العالمية، وحفزهم لقتل «اللورد موين»، والذي كان وراء فكرة الكتاب الأبيض. وعندما قررت الصهيونية، التخلص من الرجل. تم الترتيب لذلك من خلال عناصر الصهيونية الموجودة في مصر، لتسهيل مهمة اثنين من الشباب الصهيوني وهما «إلياهو بتسوري» وعمره ٢٣سنة، و«إلياهو حكيم» وعمره ٢٠ عاماً. وكلاهما كان ينتمي لجماعة «شتيرن» الإرهابية المتطرفة، وقاما بتنفيذ ذلك، في ٦ نوفمبر ١٩٤٤م، أمام منزله بالزمالك، والذي كان يستأجره من المليونير

اليهودي «داوود عدس». وقتل «اللورد موين»، ومعه سائقه الخاص، الأومباشي «آرثر فوللر». وكاد الحادث، يقيد ضد مجهول، لولا الصدفة وحدها والتي أوقعت الجناة، بعد أن اشتبه فيهم الكوناستابل «محمد حسن». واستوقفهم فوق كوبري أبي العلا، وكانا يستقلان دراجات ويرتديان ملابس عمال التليفونات[1]، ولم يكن الجانيان من اليهود المصريين، بل دخلا مصر بجوازات سفر مزورة وأسماء وهمية. واعترفا بارتكاب الجريمة، ولكنهما لم يقدما أي معلومات عن مساعدات أو تسهيلات تلقوها من أشخاص آخرين وقال «إلياهو حكيم» في التحقيقات: «أن جماعتنا أشتيرن، هي جماعة القتال من أجل حرية إسرائيل». وقد صدر حكم الإعدام ضدهما في ٢٢ يناير ١٩٤٥م. وقد تم القبض على «روفائيل سادوفسكي» وهو يبكي بحرقة على قبريهما بعد ثلاثة أيام من دفنهما، وقد اعترف بدوره في تسهيل إقامة القاتلين «إلياهو حكيم» و«إلياهو بتسوري»، وأنه قدم لهما السلاح الذي تمت به عملية اغتيال «اللورد موين» وقد حوكم سادوفسكي، وتم الحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات[2]. وفي أثناء مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل لإقرار معاهدة السلام. لم ينسى «مناحم بيجين» رئيس الوزراء الإسرائيلي وزعيم منظمة «الأرجون» الإرهابية والتي تفرعت عنها منظمة «شتيرن»، أن يطلب من الرئيس السادات استعادة رفات كلٍ من «إلياهو حكيم» و «إلياهو بتسوري». وقد وافق السادات على ذلك[3]. وأعيد دفنهما في إسرائيل . وقد تنبهت سلطات الأمن المصرية إلى خطورة العمليات الإرهابية الصهيونية. وبناء عليه، أحبطت قوات الأمن محاولة أخرى لجماعة «أشتيرن» لنسف قصر أنطونيادس بالإسكندرية، أثناء

(1) قضية اغتيال اللوردموين وزير الدولة البريطاني – شريط ميكروفيلم ، مركز الدراسات القضائية ص ١٤٤ وما بعدها .

(2) المصدر نفسه .

(3) الأهرام (القاهرة) ، ٨ مايو ٢٠٠٠ .

احتفال توقيع الزعماء العرب بحضور «مصطفى النحاس» رئيس الوزراء، لنص ميثاق جامعة الدول العربية[1]. وكانت الأهداف الصهيونية من ذلك واضحة. خلق جو من الإرهاب وإرسال رسالة مفادها عدم قدرة أحد على وقف الأهداف والمخططات الصهيونية، ونشر روح الإحباط لدى الجميع. وإذا كانت عملية نسف قصر «أنطونيادس»، لم تنجح. لكنها أبرزت بشكل واضح، المدى الذي يمكن أن تصل إليه عمليات الإجرام والإرهاب الصهيونية. وأنه ليس هناك حدود أو خطوط حمراء يمكن تقف عندها.

(1)هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠.

obeikandl.com